الجملة في اللغة العربية

(دراسة تقابلية بين مدرسة النحو التقليدية والحديثة)

Roviin
IAIN SALATIGA
roviinrovi@gmail.com
DOI: http://dx.doi.org/10.18326/lisania.v1i2.77-94

Abstract

This article discusses about the difference between traditional and modern nahwu schools in studying of the Jumla (sentence). Jumla is a compound words because it is a combination of two or more words. Traditional nahwu schools agree that the jumla is any structure that fully benefits. The modern nahwu schools hold that the jumla is all statements consisting of two principal things, the first is the earlier one and the second is the last part which has the function of statement or question and the other. The traditional nahwu schools divide the jumla into two parts, the first is the ismiya and the second is fi'liya. The jumla ismiya consists of mubtada and khobar while the jumla fi'liya is composed of fi'il and fa'il. The division of jumla according to modern nahwu schools is the jumla basitho and the jumla murokkaba. The jumla basitho consists of one composition only, while the jumla murokkaba consists of musnad and musnad ilaih. The jumla ismiya can be defined as a musnad in which the form of words, phrases or compositions. Whereas if the musnad is a fi'il structure then it is called the composition of fi'liyah, either consisting of words, phrases or compositions.

Keywords*: Sentence, Traditional Nahwu Schools, Modern Nahwu Schools*

Abstrak

Artikel ini membahas tentang perbedaan antara aliran nahwu tradisional dan modern dalam kajiannya tentang *Jumlah* (kalimat). *Jumlah* adalah sandaran kata karena merupakan gabungan dua kata atau lebih. Aliran tradisional sepakat bahwa *jumlah* adalah setiap struktur yang sepenuhnya memiliki faedah. Adapun aliran modern berpendapat bahwa *jumlah* adalah semua pernyataan yang terdiri dari dua hal pokok, pertama adalah bagian awal yang berada sebelumnya dan yang kedua adalah bagian akhir yang memiliki fungsi pernyataan atau pertanyaan dan lainnya. Aliran tradisional membagi *jumlah* menjadi dua bagian, yang pertama adalah *ismiyah* dan yang kedua adalah *fi'liyah*. *Jumlah ismiyah* terdiri dari *mubtada*' dan *khobar* sedangkan *jumlah fi'liyah* adalah terdiri dari *fi'il* dan *fa'il*. Pembagian jumlah menurut aliran modern menjadi *jumlah basithoh* dan *jumlah murokkabah*. *Jumlah basithoh* terdiri dari satu susunan saja, adapun *jumlah murokkabah* terdiri dari *musnad* dan *musnad ilaih*. *Jumlah Ismiyah*

dapat didefinisikan sebagai musnad yang di dalamnya berupa bentuk kata, frase atau komposisi. Adapun jika musnad merupakan struktur *fi'il* maka disebut sebagai susunan *fi'liyah*, baik terdiri dari kata, frase atau komposisi.

Kata Kunci: Kalimat, Aliran Nahwu Tradisional, Aliran Nahwu Modern

المقدمة

إن الانسان واللغة توأمان وجدا منذ الأزل، لا يستغني أحدهما عن الآخر في سلم التطور التاريخي، وبهما يتحقق وجود الأنشطة الإنسانية المختلفة، فإن اللغة تعد عنصرا أساسا في الحياة الإنسانية، وهي الجسر الذي يوصل بين الحياة والفكر، تسبق وجود الاشياء أحيانا، وتلحقها أحيانا أخرى. ولهذا كانت الكلمة رمز الخلق والايجاد.(المبارك، ١٩٦٤: ١٤).

لقد هبت في أوروبا ريح جديد على دراسة اللغة بعد الكشف عن اللغة السنسكريتية الهونود القدماء. هذه الحركة التجديدية اللغوية فتحت أفاق جديدة واسعة للدراسة اللغوية من وجهة النظر التاريخية في المبدأ، ثم من وجه الوصفية في المؤخر. من حيث الوجهة الوصفية، درست اللغة دراسة وصفية ليوصف بها ما هو كائن في اللغة بحد ذاتها. وبدأ تستقل هذه الدراسة اللغوية وشق طريقها باعتبارها علما خاصا مستقلا بعد أن كانت جزأ لا يتجزأ عن الدراسة المنطيقية الفلسفية. فاستنتج في القرن التاسع عشر علم اللغة التاريخية وفي القرن العشرين علم اللغة الوصفية. ويعد بلومفليد (Bloom Field) ودي سوسر (De Sausure) منجبي علم اللغة الحديث. (حسان، ١٩٧٩: ٣٣-٣٧).

إن اللغة فكر منتظم في صلب مادة صوتية، غايتها التعبير والتواصل، "هي نتاج يتقبله ويسجله المتكلم دون أن يقوم بأي نشاط له فيها البتة، بل ليس لتفكيره فيها من نشاط سوى نشاط التركيب" (دي سوسير، ١٩٨٥: ٣٤). ليشكل تركيبا من وحدتين متتاليتين فأكثر، تجمعهما علاقات سياقية حضورية متبادلة، يحددها النظام النحوي الخاص لهذه اللغة.

يقول دي سوسير "الجملة أحسن نموذج يمثل التركيب، إلا أنها من مشمولات الكلام لا اللغة، أفلا ينجر عن ذلك أن يكون التركيب أيضا من مشمولات اللفظ/الكلام" (دي سوسير، ١٩٨٥: ١٨٨)، ليقوم الدرس النحو كله عليها من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث طبيعتها ومن حيث أجزائها ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء تأليفها من تقديم وتأخير، ومن إظهار وإضمار، وما يعترضها من معاني عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض.

وبدأ تسير الحركة التجديدية اللغوية إلى حقل دراسة اللغة العربية. فتأثر منها علماء اللغة العربية في هذا القرن بعد أن كان يتأثر أساتذتهم الفلسفيون من الدراسة السلفية المنطيقية اليونانية (الأرسطوطالية) خلال الإحتكاك الذي جرى بين العرب والعقلية اليونانية. ومن أساتذة النحو السلفيين هم سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم (ضيف: ١٩٨٢).

فمن المنطلق، أرادت هذه المقالة البحث عن الفوارق بين المدرسة التقليدية والمدرسة الحديثة في دراستهما اللغوية خاصة في الجملة. ويتناول هذه المقالة البحث في (١) مفهوم الجملة عند المدرستين التقليدية والحديثة، (٢) مفهوم الجملة الإسمية والفعلية عند المدرستين (٣) معيار المدرستين في تقسيم الجملة إلى الإسمية والفعلية.

منهج البحث

هذا البحث يعد من البحوث النوعية، والبحث النوعي كما قال مايكل قوين بتون ومايكل كوكران هو البحث الذي يهتم بإجابة الأسئلة التي لا تمكن إجابتها بالبيانات الكمية. ويهتم البحث من هذا النوع بمحاولة إجابة الأسئلة من أمثال ''ماذا؟''، ''كيف؟''، ''لماذا؟''. ولكن هذا البحث، ليس البحث النوعي العادي الذي يعتمد كثيرا على الحوار بين الباحث والناس الذين أخذت منهم البيانات، وإنما يدخل هذا البحث من ضمن البحث الذي يعتمد على الكتب والمقالات أي البحث المعتمد على الكتابات، سماه المجتمع الغربي ***literature based research***. وقال البعض إن هذا النوع من البحث يسمى

مراجعة النصوص *(literature review)*. ولكن هناك بعض الفروق، حيث أن الأول أي البحث المعتمد على الكتابات له خطة علمية أكثر من الثاني.

والموضوع لهذا البحث هو الفوارق بين المدرسة التقليدية والمدرسة الحديثة في دراستهما اللغوية خاصة في الجملة. ويتناول هذه المقالة البحث في مفهوم الجملة عند المدرستين التقليدية والحديثة، ومفهوم الجملة الإسمية والفعلية عند المدرستين، ومعيار المدرستين في تقسيم الجملة إلى الإسمية والفعلية. وذلك بإضافة عدة أفكار المتخصصين في هذا المجال.

والمدخل الذي يسير عليه الباحث هو المدخل الاستقرائي *(inductive approach)* والبحث الاستقرائي هو البحث الذي يحاول الكشف النمط أو النظام من خلال الملاحظة، وتطوير البيانات والنظريات لهذا المنهج من خلال سلسلة من التحليل. والاستقراء هو ضد الاستدلال. البحث الاستدلالي يبدأ بالنظريات ثم ملاحظة تطبيق هذه النظريات في الميدان الواقعي. بخلاف ذلك، فالبحث الاستقرائي يبدأ أولا بالملاحظات، ثم التأمل والتفكير للوصول فيما بعد إلى النمط والنظريات (عاقل يورناي: ٢٠٠٨). هذا المدخل ما يقال بالإنجليزية *"bottom-up approach"*. رغم أن النتائج التي تأتي من مثل هذا البحث قد يكون غير معين إلى درجة ما.

تكون مصادر بياناتها الأولية كتابات تتعلق بموضوع البحث. وهناك مصادر أو مراجع أساسية وهناك أيضا مراجع ثانوية. قام الباحث باستقراء تلك الكتابات، وقراءتها قراءة جدية. وبعد أن يتشكل الفهم الصحيح والصورة الذهنية الواضحة عن موضوع البحث، سيقوم الباحث بتحليل هذه المعلومات وتحقيقها، وإضافة عناصر مهمة تسهل الفهم والتصور للقارئ.

بعد أن قام الباحث بقراءة المراجع الأساسية والثانوية، أخذ الباحث المعلومات الهامة التي تتعلق بالموضوع، ثم يقوم بتحليلها وبيانها باستخدام النظريات التي تم جمعها في الإطار النظري.

مفهوم الجملة وبنائها

إن الجملة مصطلح لها تعريفات متعددة عند النحاة، منهم من قال أنها مرادفة للكلام باعتماد شرط الإفادة كإبن جني والجرجاني والزمخشري، أن "الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل" (ابن جيني : ٣٢). ومنهم من حاول التفريق بينهما لتعريف الجملة، الذي جعل الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أم غير مقصودة. كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسند إليه والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته وكل كلام جملة، ولا ينعكس (المالكي، ١٩٩٥: ٨).

وذات التعريفات انعكست في الدرس اللغوي المعاصر مع مراعاة ظروف التطور، إذ اعتبرت الجملة في أقصر صورها، هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فليس للجملة طول محدد، بل تتراوح بين القصيرة والطويلة، لأن المهم فيها خاصية الإسناد، أو تحقق طرفي الإسناد الذي تنعقد به الجملة وليس لها حد أقصى تلتزم به، حيث إنها "مركب لغوي دال مكون في اللسان العربي من عنصرين رئيسين هما المسند والمسند إليه اللذان يظهران في نماذج الكلام المشخص بصورة متعددة متنوعة بالغة الغنى تتضمنها بنى تركيبية أساسية كل منها يشبه النواة" (أحمد حاطوم: ١٢٦) .

ومع لمسات الجدة والحداثة في الدرس النحوي خاصة واللساني عامة، منحت الجملة تعاريف عديدة ومتنوعة، يقول روبرت ألان دي بوغراند "من المتعلق أن هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض والتباين حتى في وقتنا الحاضر. وما زالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف صراحة بأنها تعريفات نهائية كونها أساسا لتوحيد تناول موضوعها" (دي بوغراند ،١٩٨٨ : ٨٨).

وفي معجم اللسانيات جاء تعريف الجملة على أنها "مجموعة من المكونات اللغوية مرتبة ترتيبا نحويا بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها، وتعبر عن معنى مستقل" (سامي عياد حنا، ١٩٩٧ : ١٢٩). ويجمع إبراهيم أنيس بين التعريفين، فيعتبر الجملة "في أقصر

صورها أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة أو أكثر (إبراهيم أنيس، ١٩٧٩ : ٢٦٠). أي ضرورة أن تكون الجملة ذات تركيب معين وترتيب معين، وإفادة مستقلة يكتفي بها كل من المتكلم والمستمع.

وفي محاولة تأسيسية لنحو ما فوق الجملة، نحو النص، عدت الجملة بنية صغرى تتحرك متجهة نحو مثيلاتها لبناء "البنية الكبرى" التي هي النص الشامل (الغذامي،١٩٨٤ : ٩٦). إنها وحدة صغرى في وحدة أكبر، ترتبط فيها العناصر بأدوات ترجع إلى الفعل أو الاسم، والتوسع فيها لا يغير كثيرا من أصول الجملة، بفعل أدوات أهمها على الإطلاق الضمائر، والتي اعتبرت لوظيفتها في النحو العربي من المبهمات، لوقوعها على كل شيئ وعدم دلالتها على شيئ معين مفصل مستقل إلا بأمر خارج لفظها (حسن، ١٩٧٥ : ٣٣٨). والتي لا تدل على ذات بعينها، بل تدل على مطلق الغياب، وتحتاج في إرادة تعيين المقصود منها وإحداث الدلالة إلى إضافة أو وصف أو تمييز وغير ذلك من طرق التضام المعروفة. والتضام أن يستلزم أحد العنصرين النحويين العنصر الأخر على هيئة التلازم، وافتقار كل عنصر للعنصر الآخر.

والجملة وفق المنظور الوظيفي تتألف من عنصرين هما المسند إليه والمسند، وعليه فالمسند إليه يأتي في المرتبة الأولى، لأن الفرد يبدأ كلامه بالمعلومات المعروفة لدى المتكلم أي الموضوع، ثم يأتي المسند في الرتبة الثانية، إذ يحمل بعد تمهيد المسند إليه خلاصة الكلام المقصودة.

والتركيب الإسنادي هو التركيب الذي لا يمكن اختصاره، إذ لا يمكن لأحد أطرافه أن يؤدي خطابا لغويا لوحده. قال مارتنيه "إن أصغر قول لابد أن يشتمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه ونسميه المسند ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي ونسميه المسند إليه، ويكون تقويم دوره أيضا على هذا الأساس" (مارتينه، ١٩٨٥ : ١٢٤)، ويعد التركيب الإسنادي النواة التي تقوم عليها العبارة وترتبط بها سائر الوحدات بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

هناك ثلاثة عناصر يمكن للجملة أن تحلل من خلالها عند مارتنيه: (١) العنصر المركزي: هو المحمول أو فحوى الكلام، أي المسند. (٢) أداة التحصيل : أي المسند إليه، وهو

العنصر المشارك فاعلا أو مفعولا لكي يكون للمسند الحضور الذي يستحق كفحوى خطاب. وغالبا ما يكون الفاعل في اللغات الأوروبية هو الأداة التي تعمل على التحصيل: وكلاهما المسند والمسند إليه عنصران إلزاميان لا يمكن حذفهما في الجملة. (٣) أنماط الإلحاق : وهي التكملة لما لها من دلالات مستقلة عن مضمون الجملة الأساسي، وهي تشبه في مفهومها ما يسمى "الفضلة" في نحوها العربي، والإلحاق نوعان : إلحاق بالعطف في مثل قولنا "الحق سيف وسلطان"، و إلحاق بالتعلق ويشمل وظائف نحوية مختلفة كالنعت والمضاف إليه، والجار والمجرور، مثل "اشتريت كتابا نافعا".

والإشارة في أخر الأمر إلى أن مارتنيه لا يضع المسند والمسند إليه في مرتبة واحدة كما هو معروف في الدرس النحو التقليدي، الذي يسوي بينهما انطلاقا من حكم العلاقة المنطقية التي بينهما محمول وموضوع، بل هو يعتبر المسند دون المسند إليه وحدة مركزية ليس في التركيب الإسنادي فحسب بل في تركيب الجملة كله.

وخلاصة القول أن الجملة مصطلح يدل على وجود علاقة إسنادية بين اسمين، أو اسم وفعل، والإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الآخر، وفسرت نسبة بأنها إيقاع التعلق بين الشيئين (محمد قدور، ١٩٩٩ : ٢١٧). فكانت الجملة بذلك نوعان : جملة اسمية وجملة فعلية، وهي أولى الثنائيات التحليلية النحوية للجملة، والتي دأب عليها النحاة، حتى إلى عصرنا الحاضر إلى جانب البعض الآخر الذي انبثق من الثنائية الرئيسية، جمل لها محل من الإعراب أو لا محل لها من الإعراب، جمل بسيطة أو جمل مركبة.

إن أول ثنائية تحليلية للجملة وقف عندها الدرس اللغوي النحوي، وانتقل بسبل تطويرية إلى الدرس اللغوي الحديث عموما وهي الجملة الاسمية والجملة الفعلية. وهذا تقسيم اعتبره مهدي المخزومي تقسيما صحيحا أقره الواقع اللغوي، لأن الجملة الإسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند والمسند إليه، بلا دلالة على تجديد أو استمرار، وإذا كان خبرها اسما فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعا أي جملة فعلية فعلها مضارع، فقد يفيد استمرارا تجدديا إذا لم يوجد داع إلى الدوام، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام، ف"إن زيدا قائم" يفيد تجدد القيام لا دوامه

قد اعتبرها ابن هشام والبصريون أساس للجمل العربية لأن الاسم أصل والفعل فرع" (مهدي المخزومي، ١٩٨٦: ٤١)، والمسند إليه يتصف فيها بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد لأن هذا الأخير يدل على الدوام والثبوت.

أما الجملة الفعلية فموضوعة لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ويشير إلى تجدد سابق أو حاضر، كما يشير إلى استمرار دون تجدد وعليه فنظام الجملة في اللغة العربية سلك أحد الخطين أحدهما يجري على هذا النحو : مبتدأ (مسند إليه) + خبرا (مسندا) + متعلقا ظرفيا بالجملة الاسمية = جملة اسمية. على حين أن الثاني يجري على النحو التالي : فعل (مسند)+ فاعلا أو ما ينوب عنه (مسندا إليه) + مفعولا به مباشرا + مفعولا ظرفيا = جملة فلية. (محمد قدور، ١٩٩٩ : ٢١٨).

إن الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجديد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها وقد جاء في التلخيص عند ذكر أحوال المسند، وأما كونه المسند فعلا فالتقيد بأحد الأزمنة الثلاثة على أحضر وجه من إفادة الجديد"(مهدي المخزومي، ١٩٨٦: ٤١).

وقال الجرجاني أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيئ من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيئ، وإما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدده المعنى المثبت به شيئا بعد شيئ، فإذا قلت "زيد منطلق" فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك "زيد طويل، وعمر قصير" فكما لا يقصد هنا إلى أن يجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الاطلاق. كذلك لا تتعرض في قولك "زيد منطلق لأكثر من إثبات لزيد. وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت "زيد ها هو ذا ينطلق" فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزء فجزءا، وجعلته يزاوله ويزجيه وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلطف" (الجرجاني، ٢٠٠٢ : ٢٠٠).

الجملة عند المدرسة التقليدية و الحديثة

قبل الكلام في مفهوم الجملة عند المدرسة التقليدية والحديثة ينبغي تحديد المصطلحين إفادة القرّاء المعنى السوي للمصطلحين حتى لا يسوء القرّاء في الفهم. إن مصطلح المدرسة التقليدية يقصد بها في هذا المقال منهج جمهور النحاة وهم البصريون في المقام الأول والكوفيون والمتتبع لمنهجهم الذي عالجوا به النحو متأثرين بالتفكير اليوناني وعلم المنطق بالذات (تدري: ١٤٠٤:١٢). أما المدرسة الحديثة فمنهج اللغويين الأروبيين من بلومفليد ودي سوسر والمتتبع لمنهجهما الذين يدرسون اللغة دراسة وصفية على ما هو كائن في اللغة بحد ذاتها.

مفهوم الجملة عند المدرسة التقليدية

هناك تعريفات كثيرة عن الجملة. ولقد اتفقت النحاة التقليديون (وفيما يأتي أسميهم بالنحاة فقط) على أن الجملة هي كل تركيب يفيد فائدة تامة. كما ظهر ذلك في التعريفات الآتية. الجملة ما تركب من كلمتين أو أكثر وأفاد معنى تاما (نعمة،: ١٩). كما عرّف حسن أن الجملة (الكلام) ما تركّب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل (حسن ١٥: ١٩٧٥). لو لا يختلف التعريفان عن تعريف جارم وأمين (بدون سنة:١) حيث يكتبان أن التركيب الذي يفيد فائدة تامة يسمى جملة مفيدة ويسمى أيضا كلاما. المثال: (١). الأستاذ في الفصل. (٢). اذكروا الله كثيرا.

فالتعريفات السابقة أن الجملة تسمى كلاما أيضا. ولا بد في الجملة في شيئين معا، هما التركيب والإفادة المستقلة. فلو قيل "بكى" فقط، فهذا ليس جملة لأنه غير مركب. وكذلك لو قيل "إذا جاء نصر الله" فلا يقال جملة لأنها غير مفيدة. والمفروض أن يجتمعا هذان الشيئان وهو التركيب والإفادة كما اجتمعا في المثالين رقم (١) و (٢).

ورغم من اشتراط وجود التركيب، ليس من اللازم في الجملة أن تكون الكلمتان ظاهرتين في النطق وإنما يكفي ظهور الفعل والفاعل مستترة. كما وجد في النحو الوافي لعباس حسن حيث يقول "ليس من اللازم في التركيب المفيد أن تكون الكلمتان ظاهرتين

في النطق بل يكفي أن تكون إحداهما ظاهرة والأخرى مستترة (حسن،١٦:١٩٧٥). مثال ذلك : (١) تذهب، (٢) نجلس، (٣) أكتب

يقال أن في هذه الأمثلة الثلاثة شيئا مستترا وهما "أنت" في رقم (١) و"نحن" في رقم (٢)، و "أنا" في رقم (٣).

مفهوم الجملة عند المدرسة الحديثة

قبل تقديم تعريف النحاة الحديثة (اللغوية) للجملة فالجدير عرض شيء من دراستهم اللغوية. فقد درس اللغويون اللغة دراسة وصفية يعني دراسة لما هو موجود في اللغة من العناصر. يتبيّن لهم أن كل لغة تشتمل عناصرها الأربعة وهما الأصوات والأشكال والتراكيب والدلالات. ويتفرع علم اللغة الحديثة ناتجا عن العناصر الأربعة المسبق ذكرها إلى علم الأصوات وعلم الأشكال (الصرف) وعلم التركيب (النحو) وعلم الدلالة.

وجديرا بأن يقدم إلى القراء معنى علم التركيب الذي يتضمن موضوع هذا البحث. علم التركيب هو ما يدرس العلاقات بين كلمة وأخرى في السياق، مثل العلاقة بين الكلمات في السياق الآتي: "جاء محمد أمس".

نظرا إلى علاقات الكلمات في السياق المذكور يلاحظ أن هناك علاقة إسنادية وعلاقة غير إسنادية. العلاقة الإسنادية تكون إذا كانت الكلمة تخبر بها أو تبين عن كلمة أخرى. مثل العلاقة بين الكلمتين في "جاء محمد" ف "جاء" تبين بذاتها عن "محمد". فالأولى مخبر بها والثانية مخبر عنها ويقال أيضا أن "جاء" هو المسند و "محمد" هو المسند إليه ولا يستغني كل منهما عن الآخر.

نفهم مما سبق بيانه أن التركيب يتضمن المسند والمسند إليه. والمسند في التركيب قد يكون فعلا و قد يكون غير فعل. التركيب الذي يكون المسند فيه فعلا يطلق عليه تركيب فعلي. مثال: " علي يصلي" مسند فعلي.

والتركيب الذي يكون المسند فيه غير فعل يطلق عليه تركيب غير فعلي مثال ذلك: (١) علي تلميذ (مسند اسمي). (٢) علي مجتهد (مسند وصفي).

بعد شرح الأشكال اللغوية ينطلق منه إلى عرض مفهوم الجملة عند المدرسة الحديثة حيث يقال أنها كل نطق وقع بين سكتتين أولهما بداية كلام أو نهاية كلام سابق والثاني منهما انتهت بتنغيم يحسن السكوت عليه كتنغيم التقرير والإستفهام وغيرهما (بدري: ٥). وأضاف بدري أن هذا النطق قد يكون في شكل عبارة أو كلمة أو تركيب.

ذلك يناسب تماما بما عرفه بلومفليد في كتاب Language (١٩٦٩) بقوله: الجملة شكل لغوي مستقل ليس مضمنا نحويا داخل بناء لغوي واسع، معنى ذلك قد تكون الجملة في شكل كلمة أو عبارة أو تركيب واحد أو أكثر. مثال ذلك: (١) الماء، (٢) في الكوب، (٣) الماء في الكوب.

يلاحظ في المثال رقم (١) جملة على شكل الكلمة الواحدة وهي "الماء". هذا يجوز إذا جاءت في موقف معين مثل أن تجيء بعد سؤال أو طلب. أما مثال رقم (٢) فمن الجمل وهي في شكل العبارة وهي جار ومجرور "في الكوب". ويشترط ذلك أيضا مجيئها إجابة لسؤال. والمثال رقم (٣) هو الجملة على شكل التركيب وهي التي يجتمع فيهما المسند والمسند إليه. في هذه الحالة لا يشترط اعتماد النطق على سؤال أو كلام سابق.

هذه الأمثلة الثلاثة تعد جملة رغم من اختلاف طول تركيبها (التركيب عند النحو التقليدي) لكونها غير مضمنا في شكل لغوي أوسع. ولكن إذا كان النطق مضمنا في شكل لغوي أوسع لا يعد جملة لأنها حينئذ لا تصلح السكوت عليه. مثال ذلك كلمة "الماء" في المثال رقم (٣) والعبارة "في الكوب" في نفس الرقم، إذ أن "الماء" فيها لا تقع بين سكتتين. وحتى التركيب "الماء في الكوب" في المثال الآتي لا يعد جملة لأن السكوت لا يصلح عليه.

"الماء في الكوب حار".

ها هو مفهوم الجملة عند المدرسة الحديثة وقسم اللغويون الجملة إلى الجملة البسيطة والجملة المركبة فالجملة التركيبية. الجملة البسيطة هي ما تكونت من تركيب واحد، مثال: " المطر غزير"

والجملة المركبة تتكون من تركيبين مستقلين أو أكثر. مثال: " البيت جميل والسور فاسد"

أما الجملة التركيبية فهو ما تتألف من تركيبين أو أكثر أحدها غير مستقل، يعني التركيب الذي سبقه أداة شرط (١) أو التركيب الذي وقع نعتا أو ضميمة لشكل لغوي أوسع (٢) : (١) إذا ذهبت ذهبت معك، (٢) جاء تلميذ حقيبته جديد.

بعد هذا العرض يتبين لنا الفوارق بين الوجهتين في الجملة. وهذه الفوارق هي: (١) يشترط في الجملة عند النحاة التركيب والإفادة معا بينما لا يشترط فيها عند اللغويين إلا الإفادة. (٢) يشترط في الجملة عند اللغويين وقوع النطق بين سكتتين. (٣) يشترط في الجملة عند اللغويين استقلال النطق. (٤) يمكن أن تأتي الجملة عند اللغويين في شكل كلمة أو عبارة إذا سبقهما سؤال أو تقع في موقف مناسب.

وإذا قارنّا بين المفهومين والأداء اللغوي أن مفهوم الجملة عند اللغويين أنسب له. يجري بين الناس كلامهم المفيد في شكل كلمة واحدة أو عبارة. مثل أن يقوم أحدهم "زهرة" ونحن نفهم أنه ينادي بنته "زهرة". ويرى حريق في بيت فصرح أحد "النار، النار!" نفهم ذلك أنه يطلب العون وهكذا. لذلك ليس من الجرح أن يفضل المفهوم الحديث على المفهوم القديم.

الجملة الإسمية والجملة الفعلية عند المدرسة التقليدية

لقد قسم النحاة الجملة إلى قسمين، الأول الجملة الإسمية والثاني الجملة الفعلية. والجملة الإسمية هي التي تتألف من المبتدأ والخبر. المبتدأ هو الإسم المرفوع في أول الجملة الإسمية. أما الخبر فهو الكلمة المرفوعة المتممة للمبتدأ (ضيف: ١٩٨٢: ١٣٧-١٣٩). شرح الغلاييين المبتدأ بأنه هو المخبر عنه أو المسند إليه، والخبر هو المخبر به أو المسند. (الغلاييين، ١٩٨٣: ٢٥٧). وإلى القرّاء المثال التالي: "الحافلة مزدحمة".

كلمة "الحافلة" في المثال السابق مخبر عنه، وكلمة "مزدحمة" مخبر به، يعني يخبر المتكلّم عن السيارة بإزدحام. وباعتبار آخر يقال أن الإزدحام أسند إلى السيارة. فالسيارة المسند إليه ومزدحمة المسند.

في ضوء رأي ضيف آنف الذكر تعرّف وتحدّد المدرسة التقليدية المبتدأ أنه هو الإسم المرفوع في أوّل الجملة الإسمية. لذلك يمكن تعريف الجملة الإسمية بأنها ما بدأ بإسم ويتمّها جملة الخبر. كما كتب نعمة في كتابة " ملخص قواعد اللغة العربية" بأن الجملة هي ما بدأ بإسم أو ضمير.

أما الجملة الفعلية فهي كل ما تركب من فعل وفاعل (جارم وأمين: ٣٩). فما هو الفاعل؟ وما هو الفعل؟ الفعل كما كتبه النحاة كل لفظ يدل على حصول عمل في زمن خاص سواء كان في الماضي مثل "جلس" أو في الحال، مثل"يجلس" أو في المستقبل، مثل"اجلس". والفاعل هو المسند إليه بعد فعل تام معلوم أو شبهه (الغلاييين، ١٩٨٣: ١٣٨). إذن الجملة الفعلية هي ما يتكوّن من فعل ثم يليه فاعل (يتقدم الفعل على الفاعل).

شرح الغلاييين عن رتبة الفاعل حيث يقول أن الفاعل لا بد أن يقع بعد المسند. فإن تقدّم ما هو فاعل في المعنى، يقول النحاة أن فاعل الفعل كان ضميرا مستترا يعود إليه. مثل: "المسافر ذهب".

كلمة "مسافر" رغم من كونها فاعلا في المعنى، لا تعدّ ولا تعتبر فاعلا لأنها تقدمت على الفعل، فأصبحت مبتدأ. إذن، ما الفاعل في هذه الجملة إلا ضمير مستتر عائد إلى "المسافر".

"المسافرون ذهبوا".

كلمة "المسافرون" في المثال السابق مبتدأ وليس فاعلا لتقديمها على الفعل. و"–وا" في "ذهبوا" ضمير فاعل. معنى ذلك أن الجملتين السابقتين ليستا فعلية وإنما إسمية وخبرهما جملة فعلية.

واختصارا للقول، يقال أن الجملة الإسمية عند النحاة أو المدرسة التقليدية هي ما بدئ باسم والجملة الفعلية ما بدئ بفعل. (نعمة، بدون سنة: ١٩).

الجملة الإسمية والجملة الفعلية عند المدرسة الحديثة

لقد ذكر في الصحفات السابقة تقسيم اللغويين الجملة إلى البسيطة والمركبة فالتركيبية. الجملة البسيطة هي التي تتألف من تركيب واحد فقط. فالتركيب لا بد من أن يتضمّن المسند والمسند إليه. المسند هو ما يسمى في النحو العربي الفعل والخبر. وأما المسند إليه فهو يسمى بالفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ.

ذوعلى أساس شكل المسند الوارد في التركيب، قد قسم اللغويون التركيب إلى قسمين (١) التركيب الفعلي و (٢) التركيب غير الفعلي. ولكن يوجد أي نص صريح يدل على تقسيم الجملة إلى الفعلية وغير الفعلية. رغم ذلك في ضوء تعريف الجملة البسيطة وتقسيم التركيب الفعلي وغير الفعلي، ويمكن أن تقسم الجملة إلى قسمين وهو الجملة الإسمية والجملة الفعلية.

كتب بدري في "التقسيم الهرمي للوحدات البنائية للغة العربية" التركيب غير الفعلي هو ما كان مسنده وحدة غير فعلية سواء أكان في شكل كلمة غير فعلية أم عبارة غير فعلية أم تركيب غير فعلي. ويأتي مثال ذلك : (١) هذا كتاب (كلمة إسمية). (٢) هذا كتاب جديد (عبارة إسمية). (٣) هذا الكتاب غلافه جميل (تركيب غير فعلي).

على هذا البيان يمكن تعريف الجملة الإسمية بما كان المسند فيه غير فعلي في شكل كلمة أو عبارة أو تركيب سواء. أما إذا كان المسند من وحدة فعلية فهو ما يسمى بالتركيب الفعلي. وقد يأتي المسند في هذا النوع في واحد من ثلاثة مستويات وهي كلمة فعلية أو عبارة فعلية أو تركيب فعلي. يضرب لكل منها مثاله الآتي: (١) يكتب التلميذ أو التلميذ يكتب. (٢) يكتب التلميذ القصيدة أو التلميذ يكتب القصيدة. (٣) التلميذ صاحبه يكتب مدرسة القصيدة.

يلاحظ في رقم (١) المسند فيه يأتي في شكل كلمة فعلية وهي "يكتب" وفي رقم (٢) يأتي في شكل عبارة فعلية وهي "يكتب القصيدة". أما في رقم (٣) فيأتي في شكل تركيب فعلي وهو "صاحبه يكتب مدرسة القصيدة"، في ذلك يمكن أن يقال أن الجملة الفعلية هي ما كان المسند فيه وحدة فعلية إما في شكل كلمة فعلية أو عبارة فعلية أو تركيب فعلي.

الخلاصة

فلنطالع في أوّل تحثنا أن لهذين المدرستين لهما معيارا أو أساسا لتقسيم الجملة المسبق ذكرها. فقد قسم اللغويون الجملة إلى الفعلية والإسمية على أساس شكل المسند، فإن كان المسند فعلا (وحدة فعلية) تسمى الجملة بفعلية، وإن كان المسند غير فعلي (وحدة غير فعلية) تسمى الجملة بفعلية، وإن كان المسند غير فعلي (وحدة غير فعلية) فتسمى بغير فعلية (إسمية). بخلاف المدرسة التقليدية حيث قسمت الجملة على أساس الرتبة. فإذا بدأها فعل فهي فعلية وإذا بدأها إسم فهي إسمية.

فأي المعيارين أقوى من الآخر؟ فنعرض على سبيل المثال فيما يلي: (١) يكتب التلميذ. (٢) التلميذ يكتب.

رأت المدرسة التقليدية بأن الجملة (١) فعلية لأنها مبدوءة بالفعل. والجملة (٢) إسمية لأنها مبدوءة بالإسم. فالجملتان فعليتان (وفق المدرسة الحديثة) لأسباب آتية:

أوّلاً: يمكن إطالة الجملتين بنفس المكمّلات من المفاعيل والحال كما هو واضح فيما يلي:

(١)	(٢)
أ- يكتب التلميذ الدرسَ (مفعول به)	أ- التلميذ يكتب الدرسَ (مفعول به)
ب- يكتب التلميذ كتابةً (مفعول مطلق)	ب- التلميذ يكتب كتابةً (مفعول مطلق)
ج- يكتب التلميذ صباحًا (مفعول فيه)	ج- التلميذ يكتب صباحًا (مفعول فيه)
د- يكتب التلميذ جالساً (حال)	ذ- التلميذ يكتب جالساً (حال)

الجدول ١ : إطالة الجملتين بنفس المكمّلات من المفاعيل والحال

ثانياً: يمكن إطالة الجملتين بنفس الأدوات المختصة بالفعل:

(١)	(٢)
أ- هل يكتب التلميذ ؟	أ-هل التلميذ يكتب ؟
ب- لا يكتب التلميذ .	ب- التلميذ لا يكتب .
ج- قد يكتب التلميذ.	ج- التلميذ قد يكتب.

الجدول ٢ : الجملتين بنفس الأدوات المختصة بالفعل

وذلك لأن المسند في الجملتين من نفس القسم من أقسام الكلم. أما الجملة غير فعلية التي مسندها من وحدة غير فعلية مثل: "محمد تلميذ".

فلا يمكن إطالته بالمكملات الفعلية ولكن يمكن إطالته بالمكملات الإسمية، مثل: (١) محمد تلميذ مجتهد (نعت). (٢) محمد تلميذ ورسام (عطف). (٣) محمد تلميذنا (إضافة).

وإن كانت طريقة الإطالة في المسند الفعلي والمسند غير الفعلي مختلفة فلا يمكن أن يقال أن الجملتين رقم (١) و (٢) اسميتان لمجرد بدء كل منهما بإسم وإنما لا بد من أن تسمى الجملة رقم (١) فعلية لكونها مسنده فعلا. وإذا اتخذ النحاة الرتبة معيارا لتقسيم الجملة إلى الإسمية والفعلية لبدء كل واحد منهما بفعل وإسم فلماذا لا يسمون الجملة المبدوءة بحرف مثل في: (١) في البيت ضيف. (٢) أمام البيت ميدان.

بعد هذا النقاش البسيط يتبين أن معيار الشكل أدقّ وأقوى من معيار الرتبة. وبهذه المقالة البسيطة يستطيع القرّاء أن يقوم دور التقابل بين المعيارين لأجل سهولة فهم اللغة العربية جانب اللغة الأخرى من الإنجليزية والإندونيسية.

المراجع

إبراهيم أنيس. *من أسرار اللغة*. ط٦. القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية، ، ١٩٧٩.

ابن الحاجب النحوي المالكي. *كتاب الكافية في النحو*. ج١. بيروت : دار الكنب العلمية، ١٩٩٥.

ابن جيني. *الخصائص*. تحقيق : محمد علي النجار. ج١. القاهرة : المكتبة العلمية.

أحمد حاطوم. *اللغة ليست عقلا من خلال اللسان العربي*. بيروت : دار الفكر اللبناني.

أحمد محمد قدور. *مبادئ اللسانيات*. ط٢. سوريا : دار الفكر، ١٩٩٩.

أندريه مارتينه. *مبادئ اللسانيات العامة*، ترجمة: أحمد الحموي. دمشق: المطبعة الجديدة، ١٩٨٥.

حسان تمام. *مناهج البحث في اللغة*. المغرب: دار الثقافة. ١٩٧٩.

حسن عباس. *النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة*. ج١. مصر: دار المعارف، ١٩٧٥م.

روبرت ألان دي بوغراند. *النص والخطاب والإجراء*، ط١. ترجمة : تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨.

سامي عياد حنا وأخرون. *معجم اللسانيات الحديثة*. بيروت : مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧.

شوقي ضيف. *تيسير النحو العليمي قديما وحديثا مع منهج تجديده*. قاهرة : دار المعارف، ١٩٨٦.

شيقي ضيف. *تحديد النحو*. مصر: دار المعارف، ١٩٨٢.

عباس حسن. *النحو الوافي*. مصر: دار المعارف، ١٩٧٥.

عبد القاهر الجرجاني. *دلائل الاعجاز في علم المعاني*. شرح وتخريج: ياسين الأيوبي. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢

عبد الله محمد الغذامي. *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية*، الكويت : دار سعاد الصباح، ١٩٨٤.

علي جارم ومصطفى أمين. *النحو الواضح*. مصر: دار المعارف.

فرديناند دي سوسير. *دروس في الألسنية العامة*. تعريف: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة. تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥.

فؤاد نعمة. *ملخص قواعد اللغة العربية*. ط ٧. مصر: مطبعة نهضة.

كمال إبراهيم بدري. *التقسيم الهرمي للوحدات البنائية للغة العربية* غير منشورة. قسم تأهيل المعلمين، معهد العلوم الإسلامية العربية.

كمال إبراهيم بدري. *الزمن في النحو العربي*. رياض: دار أمية، ١٤٠٤.

محمد المبارك. *قضايا اللغة وخصائص العربية*. ط٢. بيروت: دار الفكر، ١٩٦٤.

مصطفى الغلايين. *جامع الدروس العربية*. ج ٢. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤.

مهدي المخزومي. *في النحو العربي، نقد وتوجيه*. ط٢. بيروت : دار الرائد العربي، ١٩٨٦.